الأهرام
لقراءة النص العربي
الصفحة الأولى
مصر
الوطن العربي
العالم
تقارير المراسلين
تحقيقات
قضايا و اراء
اقتصاد
الرياضة
ثقافة و فنون
المرأة و الطفل
الكتاب
الأعمدة
ملفات الأهرام
الكاريكاتير
بريد الأهرام
مواقع للزيارة
إصدارات الأهرام
مركز الدراسات
الأهرام ويكلى
السياسة الدولية
لغة العصر
الأهرام أبدو
الأهرام العربى
الأهرام الاقتصادى
الشباب
علماء الدين
إعلانات و اشتراكات

قضايا و اراء

موضوعات في نفس الباب
~LIST~

الأحد 11 من ذى القعدة 1424 هـ 4 يناير 2004 السنة 127-العدد 42762

تطلعات الإصلاح الداخلي العربي عام 2004

بقلم: د. إبراهيم البحراوي

** أصبحت قضايا الإصلاح الداخلي علي مستوي الاقطار العربية ضرورة تاريخية وليست مجرد تطلعات جماهيرية. ذلك ان مشاعر الاحباط تجاه احوال اقطار الأمة خلال العام المنقضي لا يمكن التغلب عليها سوي بطريق واحد, هو طريق الاصلاح الداخلي الجاد الذي يفضي إلي اصلاح النظام العربي ودفع الدماء في شرايينه.
لقد اصبح الترابط بين الإصلاح علي مستوي القطر واصلاح الأداء العربي العام في القضايا الاقليمية والدولية محل اجماع بين المفكرين والكتاب. فأنت لا تستطيع رفع مستوي اداء المجموعة العربية في حين أن اعضاءها يعاني معظمهم من القصور في ادائه الداخلي.

ولكي تكون بداية العام الجديد مختلفة فلا مفر من ان نواجه انفسنا برؤية صريحة قادرة علي حل اشكاليات ثلاث تعترض انطلاق الاصلاح بقوة تاريخية صاعدة بعيدا عن مناورات لا تؤدي إلا للدوران حول النفس.
إن اهتمام الناس بالإصلاح الداخلي قد تزايد منذ سقوط النظام البعثي في بغداد في التاسع من أبريل الماضي. ومع هذا التزايد تولدت أولي اشكاليات الاصلاح الداخلي. فقد خرج علينا المثقفون والإعلاميون عشاق صيغ الاستبداد والتسلط في الحكم ليخيفوا الناس من دعوة الاصلاح وليرجموها بأنها دعوة امريكية تتناقض مع مباديء الوطنية والعروبة وقيم السيادة الداخلية. لقد استطاع الشعب العربي بذكائه ان يكتشف لعبة التلفيق المحكمة التي تحاول ترويج بضاعة إعلامية سلطوية في اوساط نظم الحكم التقليدية بعد أن انهارت اركان النظام الثوري المزعوم في بغداد.. وبما أن الشعوب قد اصبحت اعمق وعيا ولا تنطلي عليها عمليات الخداع بالشعارات الثورية والقومية وبما أنها اضحت أكثر قدرة علي اصدار الأحكام الصحيحة فلقد اصبحت بالتالي اشد رفضا لأي صيغة استبدادية او تسلطية في الحكم مهما زينت نفسها بالشعارات البراقة وتبرجت بزينة العروبة أو الوطنية.

لقد اصبح الوقت ضاغطا والسنون تمر والناس مهمومة بالبحث عن طرق جادة لاعادة بناء الأوطان الصغيرة بما يليق بمواكبة العصر لبناء أمة عربية أفضل.
واريد هنا أن اطلق رؤية فكرية تحل هذه الاشكالية المفتعلة وأن تقطع الطريق علي هذه البضاعة الإعلامية التسلطية علي نحو نهائي في عقولنا. وهذه الرؤية تنادي بأن مطلب الاصلاح العربي الذاتي اقدم بعقود من الدعوة الأمريكية الجديدة له. ويشهد علي هذه الحقيقة تلك القبور الجماعية لجماعات المعارضة المطالبة بالإصلاح والديمقراطية في

ربوع العراق التي كشف النقاب عنها بعد سقوط النظام.

وأقول كذلك إن تنامي الدعوة إلي الإصلاح الداخلي في انحاء العالم العربي بعد سقوط النظام البعثي في بغداد لا يناقض مباديء السيادة الوطنية لا من قريب ولا من بعيد. واقول ايضا إن اصالة دعوة الإصلاح العربية لا ينال من صفائها ووطنيتها وعروبتها إنها تنتفع بالدفعة التي يولدها النظام الدولي الجديد بزعامة امريكا. فعلي مدي الزمن كانت امتنا جزءا عضويا من العالم اثرت فيه خلال عصور ازدهارها وقوتها ومنعتها وتأثرت به وانتفعت بمنجزاته الحضارية الحديثة من طب واتصالات وهندسة وتطبيقات تكنولوجية, وبالتالي فلا ضرر علي الإطلاق من أن تنتفع دعوتها الذاتية للإصلاح بالدفعة الدولية اليه.
اظن أن هذه الرؤية تسوي هذه الاشكالية المفتعلة علي نحو نهائي خاصة إذا ما استطعنا وضع الفواصل الدقيقة بين مطالب الإصلاح العربية التي تكفل الحفاظ علي خصوصياتنا الثقافية وبين مطالب الإصلاح الخارجية ننتقل إلي الإشكالية الثانية التي تجسدها الفروق والمشتركات مع العالم.

إن وضع هذه الفواصل يجب ألا يطمس تلك التعريفات المشتركة للإصلاح بين العرب من ناحية وبين ميثاق حقوق الانسان الذي وقعت عليه جميع الدول الاعضاء في الأمم المتحدة بما فيها الدول والحكومات العربية نفسها من ناحية ثانية وبين مطالب الإصلاح الأمريكية من ناحية ثالثة.
إن علينا ان نتحلي بالشجاعة الأدبية التي تحلي بها اسلافنا عندما حافظوا علي خصوصيات ثقافتهم ولم يجعلوا هذه المحافظة عائقا يقف بينهم وبين تلقيح ثقافتهم بما هو نافع ومشترك في حضارات الأمم الأخري.

إن حاجتنا إلي الاعتراف بأهمية المباديء المشتركة بيننا وبين الحضارات الأخري يمكن تمثيلها مع الفارق بحاجة الإنسان العربي المريض بمرض عضال لا تنفعه في علاجه ادوات الطب العربي المحلي. هنا لا يجد المريض العربي ولا المفكرون ولا الفقهاء ضررا في انتفاع هذا المريض بالتقنيات الطبية الأمريكية أو الأوروبية المتقدمة ليشفي من مرضه وليبقي علي بدنه سليما. وقديما قال الشيخ المصري العز بن عبدالسلام ان العلة الأولي في شفاء أي مريض هي ارادة المولي عز وجل غير أن إرادة المولي جل شأنه تتحقق بعلة ثانية هي علة الطب التي خلقها وسخرها لخلقه. المعني الذي اريد تبيانه هنا أن بيننا وبين العالم الخارجي وعلي رأسه امريكا قواسم مشتركة نافعة لنا.. وأنه لا ضرر لوطنيتنا ولا لخصوصيتنا أن نعترف بأهمية هذه القواسم المشتركة لسلامة ابداننا وسلامة اوطاننا وسلامة مجتمعاتنا عند المناداة بالإصلاح وبالنهضة ولتكن ارادتنا الإصلاحية علة اولي وارادة امريكا علة ثانية.

إذن ينبثق السؤال حول ما هي المباديء المشتركة للإصلاح بيننا وبين العالم. إن هذه المباديء تقع في ثلاثة مجالات: الأول هو المجال السياسي, والثاني المجال الاقتصادي

والثالث هو مجال حقوق وحريات الانسان.
أما المجال السياسي فيعني طبقا لتفاوتات الاوضاع في كل قطر ارساء وتعميق وتوسيع مبدأ المشاركة الشعبية في اتخاذ القرارات أي الديمقراطية, وأما المجال الاقتصادي ومع مراعاة التفاوتات فيعني الاصلاح فيه الاستثمار الكفء والأمثل لموارد الدولة وتحسين حياة المواطنين بمعدلات مناسبة لا تترك بينهم جائعا ولا عاطلا ولا مجرما يندفع للجريمة نتيجة للحاجة القاهرة ولا إرهابيا يبحث عن الخلاص من الفقر والقهر والفساد وانعدام تكافؤ الفرص في اهلاك نفسه واهلاك ابناء مجتمعه.

إن النموذج الأدني الذي عجزت معظم الأنظمة عن تحقيقه الذي يجسد الهدف المطلوب هو نموذج التنمية الماليزية الذي استطاع به الدكتور مهاتير محمد خلال فترة تقل عن خمسة وعشرين عاما ان يحول دخل الفرد سنويا من أدني الدخول وهو مائة دولار إلي دخل معقول وهو عشرة آلاف دولار سنويا. إن هذا النموذج كاشف عند المقارنة لمدي الاخفاق الذي تعانيه تجارب عديدة في الوطن العربي الواسع.
أما مجال حقوق الإنسان وحرياته فيشمل توفير الظروف اللازمة لاحترام كرامة الإنسان المواطن وضمان حرياته في التفكير والتعبير والعبادة والمشاركة السياسية وكفالة حقوقه في بيئة نظيفة آمنة وفي اجر عادل عن عمله والحصول علي الخدمات الطبية والتعليمية والاتصالات ووسائل السكن والنقل اللائقة بكرامته. فضلا عن ضمان مباديء العدالة والقضاء الناجزين وتكافؤ الفرص والمساواة.

وفي تقديري ان هذه المباديء تنبع اصلا من تراثنا الثقافي العربي وبالتالي فإن التقاءها مع المطالب الأمريكية لا يضرنا في شيء ولا يستأهل خلق اشكالية تعوق الدعوة لتنفيذ أركان أو مجالات الإصلاح بجدية فعلية.
بقيت اشكالية ثالثة وأخيرة تعترض مسيرة الإصلاح الداخلي العربي وهي تتردد علي نحو خافت في بعض الصالونات العربية. وهي اشكالية الاختيار بين ارضاء وكسب ود الولايات المتحدة إما عن طريق مسايرة مطالبها في السياسات العربية الخارجية وإما فيما يتصل بالإصلاح الداخلي. فهناك من يعتقد أن الاسهل هو تلبية المطالب الخارجية في قضايا الصراع العربي ـ الإسرائيلي وقضايا نزع اسلحة الدمار الشامل وغير ذلك من القضايا الخارجية. ويعتقد هذا البعض أن تكلفة هذه الترضية لأمريكا اقل عبئا من تكلفة الإصلاح الداخلي, ومع أن اصحاب هذه النظرية يتصورون انها تكفي لتلبية مصالح السياسة الأمريكية فإن اخطر ما في هذه الاشكالية هو انها تتجاهل الواقع الداخلي المأزوم والمتعطش للإصلاح ولبناء علاقات ثقة واحترام بين النظم والشعوب. وهي اشكالية لا يملك حلها سوي الوعي التاريخي لدي النظم التي بدورها تفضل أن يسجل لها في صفحات الاجيال التالية.

بداية الصفحة

تقارير المراسلين | العالم | الوطن العربي | مصر | الصفحة الأولي
ثقافة و فنون | الرياضة | إقتصاد | قضايا و أراء | تحقيقات

المرأة و الطفل ملفات الأهرام أعمدة الكتاب القنوات الفضائية